الخليج العربي ..... المجلد العشرون ..... العدد (١) ١٩٨٨
.....مجلة علمية يصدرها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ـ الجمهورية العراقية

الدور السياسي البدوي في التاريخ العربي

بقلم ف كاسكل

تعريب وتعليق الدكتور منذر عبد الكريم البكر*
كلية التربية ـ جامعة البصرة

مقدمة المعرب

تناول الاستاذ كاسكل في هذا الكتيب**البنيات الاجتماعية الثابتة والتي تجعل البدوي بذكر اسلافه ويحتفظ فيها بنسبه حتى الجد العاشر من حيث يكون مع بقية ابناء هذا الجد كيان القبيلة ومجمل البحث يدور حول هذه البنيات الاجتماعية

* لايفوتني في هذه المناسبة من ان اشكر جامعة ماينز Mainz في المانيا الاتحادية لاتاحتها الفرصة لي ولمدة ثلاثة اشهر من استعمال المكتبة التابعة لمعهد الاستشراق والتعرف على ما فيها وكذلك لايفوتني من ان اشكر البروفسور هربوت هورست «H. Horst» الاستاذ في معهد الاستشراق التابع للجامعة لارشاداته وتوجيهاته القيمة كما لا أنسى زميلي الدكتور مصطفى عبداللطيف جياووك والدكتور محمد جواد حسن الموسوي لمراجعتهما النص ولتوجيهاتهما القيمة في ذلك ولكل من ساعدني في اتمام ترجمة هذا الكتب والله ولي التوفيق . . .

** W. Caskel: Die Bedeutung der Beduinen in der Gesechichte der Araber koln 1952.

ودورها في التاريخ السياسي العربي منذ ان ذكر العرب في حوليات الاشوريين عام ٨٥٣ ق .م الى الوقت الحاضر. متتبعا الدول التي ظهرت على المسرح السياسي في شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها مشيرا الى ماخلفته تلك الدول من نتاجات حضارية مختلفة، كما يذكر اهتمام البدو بالنثر والشعر ويؤكد ان العرب قبل الاسلام كان لديهم شعور واضح بانهم شعب واحد،يتمثل ذلك الشعور باللغة الجديدة (لغة القران الكريم) كما يتمثل ايضا في العبادة المتكاملة في وسط شبه الجزيرة العربية كالحج نحو عرفة واللقاء المميز في سوق عكاظ.

بعد ذلك يتناول الاسلام اذ انضوت القبائل البدوية اليه ثم الى اشتراكها في الردة ومساهماتها بعدئذ بنشر الاسلام وبناء المدن الى جانب اهتماماتهم المستمرة بالانساب اهتماما لانجده عند غيرهم من الامم، ويذكر لنا عن العصبية القبلية واثرها في سقوط الدولة الاموية.

ويستمر كاسكل بشرح دور البدو السياسي في شمال افريقيا ومصر، وكذلك دورهم بعد سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م وتعريفه بالدور السياسي الذي قاموا به طيلة الحقبة الايوبية ـ المغولية وكذلك مدة حكم الدولة المملوكية والدولة العثمانية كما لا يهمل كاسكل دور البدو في التاريخ الحديث، اذ يشير الى ذلك الدور في بعض اقطار الوطن العربي.

يذكر العهد القديم وكذلك الرقم الكتابية اخبارا مختلفة عن البدو من العرب[1]. وقد نستطيع من خلال ذلك معرفة بعض الصفات عن الحياة البدوية في تلك العصور التي ظلت هي نفسها محتفظة بذات الطابع منذ الاف السنين والى وقتنا الحاضر. يجسد (الفصل ٦ ـ ٨ من كتاب رشتر) اندفاعات البدو الاصليين كالعمالقة [2]واهل

---

١)ان اول اشارة ثابتة الى العرب هي تلك التي وردت في نقش الملك الاشوري شلمنصر الثالث ٨٥٤ او ٨٥٣ق.م ثم تكرر ذكرهم بعد ذلك في حوليات الاشوريين كما تحتوي التوراة على اخبار العرب القدماء للتفصيل راجع:

Reallexikn der Assyriologie
Berlin leipzig. 1932p.125
Encyclopae dia Biblica London 1899. vol. I. p.370
H. stj B. Philby: The Background of Islam Alexandria.
1947.p.29.A.Grohmann. Arabien, Munch 1963 p. 21

٢) وهي القبائل التي عدها الاخباريون العرب من العرب البائدة وقد جاء ذكرهم في التوراة. راجع سفر العدد الاصحاح ٢٤ آية ٢٠ والاصحاح ١٤ اية ٤٣ وسفر صموئيل الاول الاصحاح ١٥ اية ٣ والاصحاح ٣٠ اية ١٧ وسفر الاول الاصحاح ١٨ اية ١١، الكتاب المقدس طبعة كمبرج ١٩٥٢.

مدين[٣] فقد قال انهم كانوا يعبرون الاردن يسوقون ابلهم عبر الحقول المزروعة ثم يعودون الى الفلاة ثانية مكررين ذلك لسنوات عديدة متعاقبة وذلك لطبيعة الحياة البدوية التي تجبر البدو على البحث في المناطق الحضرية عن مروج لقطعانهم في سنين الجفاف.

وقد دلت سجلات الحملات الاشورية التي تعود الى القرنين الثامن والسابع ق. م. على ان الاقتصاد البدوي لم يوفر لهم الاكتفاء الذاتي، وانما هو اقتصاد الواحة (اذ يعتمد على مايزرعه العربي في الواحة) واقتصاد تجارة(الترانزيت) او السيطرة على الطريق التجارية للحصول على الضرائب وتتكون من الذهب والفضة والرصاص والحديد وجلود الفيلة والعاج والاقمشة والطواويس والماشية، وقد عرفنا ذلك من انها دفعت من ملوك العرب وامرائها الى جانب الجمال جزية الى ملوك الدولة الاشورية، علما بان هذه المواد ليست من منتجات الصحراء السورية.

اما الدليل الاخر فهو ماكتبه العرب انفسهم اذ بدأت تظهر منذ منتصف القرن الثاني ق. م. تقريبا في شمال الجزيرة العربية كتابات قصيرة على الاحجار. واذا اردنا فهمها وجب علينا ان نلقي نظرة على الظروف السياسية والاقتصادية المسيطرة على بلاد العرب في القرنين قبل ميلاد السيد المسيح وبعده. وكانت شبه الجزيرة العربية متوجة بدول الاطراف. ففي الشمال الغربي كانت مملكة الانباط قد اتسعت فضمت حوران وامتدت الى بعض كيلومترات جنوب مدينة الحجر[٤]. ثم تبعتها مملكة لحيان في التطور السياسي مع عاصمتها ديدان[٥] وعلى هذا المحور نفسه وجدت دول اخرى بصورة مستمرة في دائرة الحضارة العربية الجنوبية،وتبدأ هذه الدول بمملكة سبأ

---

٣) تقع مدين على البحر الاحمر محاذية لتبوك وبها البئر التي استسقي منها موسى لسائمة شعيب. راجع ياقوت الحموي. معجم البلدان . بيروت ١٩٥٦ ٥/٧٧ والبكري: معجم مااستعجم من اسماء البلاد والمواضيع تحقيق مصطفى السقا (القاهرة) ١٩٤٢، ٢/٢٠١

٤) تقع مدينة الحجر بوادي القرى بين المدينة والشام وقد جاء اسم هذه المدينة عند الكتاب الكلاسيكيين بصيغ مختلفة مثل هيجر او هجر ويعتقد موسل انه رغم هذه الاختلافات فلابد ان تكون مدينة الحجر. راجع : البكري. معجم مااستعجم ٢/٤٢٦ ياقوت . معجم البلدان ٢/٢٢١، وموسل. شمال الحجاز تعريب الدكتور عبد المحسن الحسني، اسكندرية ١٩٥٢ ص ١٠٧.

٥)لقد ذكرها العهد القديم باسم ديدان. وهي خرائب العلا الخربة في الوقت الحاضر.

شمالا وتنتهي جنوبا بدولة حضرموت التي تمتد على طول ساحل المحيط الهندي (البحر العربي)وفي الشرق توجد دويلات المدن: جرها والخط [٦]. وكانت كل واحدة منها تقع في واحة طبيعية كبيرة من بلاد العرب على الساحل (اي ساحل الخليج العربي). اما في بلاد مابين النهرين فنجد هناك مخافر امامية (هي بالاحرى دويلات تجارية اخرى) وهذه الدويلات هي التي ظلت تمنح التحالف الفرثي من ان يكون محكما. وكانت تخلخله وتربكه بصورة مستمرة وهذه الدول هي دولة ميسان العربية[٧]ودولة الحضر[٨]وتنتهي هذه الحلقة من الدويلات العربية في الشمال بدولة تدمر. وقد عاشت هذه الدولة من تجارة السلع والبضائع الهندية والافريقية والتي كانت مرغوبة في الغرب خصوصا تجارة البخور. والذي كان جنوب شبه الجزيرة العربية مركزا مهما لها حيث كانت تدر لها هذه التجارة ايرادات مالية عجلت في عملية التقدم الاقتصادي في داخل البلاد حيث نظمت الوديان لحفظ مياه المطر وحفرت القنوات واهتموا بصيانتها. اما في جنوب شبه الجزيرة العربية فقد وجدت صناعة النسيج والجلود. كما ارتبطت دول الاطراف بعضها ببعض بالطرق التجارية التي كانت تموج بها شبه الجزيرة العربية. وكانت تقع على هذه الطرق قرى. والقرية هي عبارة عن محطة تجارية، ولكنها بمرور الزمن تطورت بحيث اصبحت اكثر من ان تكون محطة تجارية فقط اذ اندمج سكان مركز هذه المحطات بصورة مباشرة وغير مباشرة(بعضهم ببعض) من خلال التجارة.

كما كان يوجد فيها وبدون شك البدو ايضا وهم الذين يقومون بالرعي ضمن حدود الواحة. غير انه يمكن ان يكون الرعي ايضا في مناطق تجوال كبيرة. وكان

---

٦) ان اول من اشار الى جرها هو الملك السلوقي انطيوخس الثالث (٢٢٣ - ١٨٧ ق. م) في حملته على الخليج العربي. اما مدينة الخط فهي واقعة في البحرين وهناك من يقول انها في القطيف راجع:

الدكتور منذر البكر. اليمامة او جرها في عصور ماقبل الاسلام (مجلة كلية التربية. العدد الثالث السنة الثانية البصرة ١٩٨٠) ص ١١٥ - ١٣١.

F.Altheim. R.Stiehl. Die Araber in der alten Welt.

Berlin .1966. vol .4 part l .p.163

W. Caskel the Bedouinization of Arabia (theAmerican Anithropological vol 56. No 2.2.part.2. Aprial. 1954) p.39

٧ - عن دولة ميسان وتاريخها. راجع الدكتور منذر البكر. الجذور التاريخية لعروبة الاحواز قبل الاسلام. البصرة ١٩٨١.

٨ - عن الحضر راجع: فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى: الحضر مدينة الشمس، بغداد ١٩٧٤

٩ - عن الطرق التجارية في شبه الجزيرة العربية راجع: الدكتور منذر البكر دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام. البصرة ١٩٨٠ ص ٣٧٥ - ٣٧٦و٣٨١ - ٣٨٨.

هؤلاء البدو يكتبون ويرسمون الاشياء المحيطة ببيئتهم وهي الجمال والخيول والوعول والظباء والغزلان والنعام والضباع والذئاب والكلاب واحيانا يرسمون انفسهم. وكانت هذه الصور ترسم لغرض السحر الذي يخدمهم في صيد الحيوانات ليس الا. لان البدو يستجيبون لمخافة الله بصورة حقيقية. غير ان هذه الاعمال الفنية الابداعية هي في معظمها نتاج حضاري سهل الاندثار. كما ان الشكل القديم للكتابة في شبه الجزيرة العربية جاءت من واحة تيماء[١٠]. والصور كان قسم منها على شكل حلية حيوانية (تزين واجهات الابنية) في المدن شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية وكان تعبير البدو عن مشاعرهم الدينية تعبيرا طبيعيا فطريا «عاما» غير انهم استعاروا اثناء تواجدهم في المدن بعض الاصنام وشعائر عبادتها وملخص القول ان الصورة التي كونوها من النقوش الكتابية عن هؤلاء البدو لاتتفق في الحقيقه مع ماجاء في العهد القديم عن خصائص العرب. ولكي نقترب الى الحقيقة لابد من رسم الاطار العام (لحياة البدو) فنحن لانسمع عن حرب بينهم وانما نسمع عرضيا عن هجمات من اجل الثأر او النهب ولهذا السبب لم يكن الفرد يحتاج في البادية الى مجتمع ثابت وكبير(كما في المدن) وانما يكفيه حماية عشيرته.

والان لنذهب نحو الشمال عند سيف البادية السورية وشرق مدينة دمشق حيث نجد في الحرار التي تعتبر من اخصب المناطق الزراعية في هذه المنطقة كتابات تقودنا الى لهجة عربية اخرى هي اللهجة الصفوية[١١] (وهي لغة عرب الصفا) وقد ظهرت متأخرة قياسا الى اللهجات الاخرى في شبه الجزيرة العربية، غير ان نهايتها كانت متأخرة ايضا. وفي هذه المنطقة من شبه الجزيرة العربية كانت تسود الفوضى اذ تكثر الغزوات ويسود الثأر بالدم وتقف كل مجموعة ضد الاخرى. هنا وجدت بنيات اجتماعية ثابته يذكر فيها المرء اسلافه الى الجد العاشر من نسبه ويكون مع بقية ابناء هذا الجد كيان القبيلة. وهنا قابلنا البداوة لاول مرة بناء على ان الملامح السالفة الذكر

١٠ ـ ذكرها ياقوت على انها بليد في اطراف الشام. بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق. ويقول البكري انها من امهات القرى راجع :ياقوت، معجم البلدان ٦٧/٢ والبكري، معجم مااستعجم ٩٧/١و٣٢١/١ ـ ٣٣٠

١١ ـ ان الصفوين مصطلح اقترحه الاستاذ دي فوجة الذي نشر اول قائمة من تلك النصوص ويقول رينوديسو: اننا نجهل الاسم القديم للسكان لهذا فنحن نفترض ان الاسم الحقيقي للسكان هو عاد للاسباب التالية.

١ ـ ان الصفة العامة لحياة هذه القبائل التي اقترح اسمها دي فوجه يطابق حياة قبائل عاد.

٢ ـ ان منازل قبائل عاد قريبة من منازل ثمود لاقتران ذكر عاد بثمود في القران الكريم ولما كانت قبائل ثمود تسكن في وادي القرى. اذا لابد وان عاد تسكن الى شمالها.

٣ ـ ان بطليموس ذكر بان قوم (Oaditate) اي عاد يسكنون في المناطق الشمالية الغربية من شبة الجزيرة العربية وهي المناطق التي عثر فيها على الكتابة الصفوية.

هي مميزات البدو. اذ ان هذا المصطلح ينبغي أن لايستعمل في تاريخ أقدم من ذلك وأنه ليس من العلمية أن يكون هذا المصطلح، اي البداوة تعني الاعراب الخلص الرحالين والذين يرعون الجمال بمنطقة ضيقة أو منطقة واسعة جدا او انصاف الاعراب الذين يربون الماشية والماعز في معظم المناطق الجبلية حيث مال قسم منهم الى الاستقرار.

ربما يسأل المرء نفسه لماذا ظهرت البداوة في البادية السورية مبكرة قبل ظهورها في شبة الجزيرة العربية نفسها؟ سيكون الجواب على ذلك هو ان السبب يرجع الى الاضطرابات المستمرة في الشمال بتأثير الموجات والهجرات السياسية للبدو، ونحن لانعرف تاريخ تجوال البدو في العصور القديمة بصورة دقيقة. اما نتائجها فعلى سبيل المثال ظهور اليطوريين [١٢] وهم قبيلة من شرق الاردن في القرن الثاني ق . م(على المسرح السياسي) واسسوا دولة لهم بين لبنان وحرمون[١٣] كما زحفت قبائل بدوية اخرى في القرن الاول الى طريق ابامية ـ الدير او الميادى ـ سنجار.

نعود الى بلاد شبه الجزيرة العربية ثانية حيث حدث في القرنين الثاني والثالث الميلادي ان سقطت دول الاطراف(وهي دول القوافل) وتغيرت طبيعة لذلك العلاقات الاقتصادية والسياسية تماما(عما كانت عليه في السابق) اذ ضمت الدولة الرومانية القسم الشرقي من دولة الانباط سنة ١٠٥م وامتد التأثير الروماني حتى بلغ العمق الشمالي الفرثي من بلاد العرب ودب الضعف في التحالف الغربي عام ١٧٠م ثم توارى عن الانظار عام ٢٢٧م وحلت محلها الدولة الفارسية (الساسانيه) والتي اسرعت بجيشها حتى قضت على دولة الحضر [١٤] وقوت مركزها على السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية. كما سقطت تدمر سنة ٢٧٥ م على يد الروم. اما في جنوب شبه الجزيرة العربية فقد ظهرت في سنة ٣٠٠م دولة عربية كبيرة سلالتها الحاكمة تنسب الى قبيلة حمير [١٥] . ان الحروب التي دارت بين روما وفارس بسبب مصلحتهما في تأمين التجارة العربية ادت الى انهيار البتراء عاصمة الانباط ودولة تدمر . ولايمكن مقارنة وضعهما بعد الاحتلال بما كانت عليه في السابق(من رخاء وازدهار) وقد اهملت نتيجة لذلك الطرق التجارية والواحات التي تقع عليها وادى الى زيادة فقر العالم القديم.

---

١٢ ـ كان اليطوريون يسيطرون على مملكة تقع في لبنان الداخلي وكانت عاصمتهم (عنجر) في البقاع ومن هناك امتد سلطانهم في لبنان حتى الشاطيء الفينيقي. رينود يسو: العرب في سوريا قبل الاسلام ترجمة عبد الحميد الدوخلي ص ١٣ ـ ١٤.

١٣ ـ حرمون جبل ويحد مقاطعة من ارض كنعان واسمها باشان وهو يقع شرق الاردن وهو جبل الشيخ.

١٤ ـ كان سقوط دولة الحضر عام ٢٤١م.

١٥ ـ عن دولة حمير راجع : H. von Wissmann Himayr Ancient History Le Museon. 1964.

وقد فرض مفهوم «الاعراب» نفسه بصورة موازية لانهيار التجارة وتخريب الاراضي الزراعية. ويظهر ان هذا المفهوم عرف في الشمال ثم انتقل الى الجنوب حيث ظهر في القرن الثالث . ان اسم الاعراب ليس عاما للشعب العربي وانما كان دلالة حرفية على رعاة الابل والماشية اي للاعراب وانصاف الاعراب.

أن التأثير على المجتمع في داخل شبه الجزيرة العربية يأتي من كونه يتألف من قبائل بدوية ودويلات غير مستقرة وهذه في الواقع هي ماورثه العرب في داخل شبه الجزيرة العربية من دول الاطراف وقد عرف بطليموس من بين القبائل العربية في النصف الثاني من القرن الثاني في داخل الجزيرة العربية قبيلة اسد وقبيلة تنوخ. فقد تواجدت القبيلتان بعد قرن من الزمن قرب نهر الفرات ثم في سوريا ثم تبعتهم بعد ذلك قبيلة نزار. غير ان قسما من هذه القبيلة بقي داخل شبه الجزيرة العربية.

ان التطور الاجتماعي الذي حدث في شمال شبه الجزيرة العربية في القرن الرابع ـ القرن السادس الميلادي لانعرف من نتائجه شيئا مهما سوى الاطار الخارجي للاحداث التي سأعطي مختصرا لها: كانت شبه الجزيرة العربية في هذه الحقبة مسرحا لحروب مستمرة بين الدولة الرومانية والدولة البيزنطية فيما بعد ودولة فارس حيث اجهز اندفاع العرب المسلمين ٦٠٤ ـ ٦٢٨م على كلا القوتين (اللتين لم تستطيعا مقاومة هذه القوة الجديدة الناهظة). وكانت بلاد فارس قد انشأت لها على خط نهر الفرات دولة حاجزة [١٦] (تحمى حدودها من هجمات القبائل العربية) بينما اكتفت الدولة الرومانية ثم الدولة البيزنطية بعد ذلك بتسمية احد زعماء القبائل في الصحراء السورية (فيلارخوس) للسيطرة عليها. غير انها اتبعت في سنة ٥٢٩م المثال الفارسي فكونت دولة حين انضوت القبائل العربية في الصحراء السورية وفي ارض شرق الاردن تحت زعامة قبائل غسان كما ظهرت وبصورة استثنائية في جنوب الجزيرة العربية وفي المنطقة التي خضعت للرومان مخافر امامية اولا ثم تطورت بعد ذلك الى دولة حاجزة لم تدم طويلا. وقد امتد تأثير الغساسنة ومنافسهم في الشرق (المناذرة) الى داخل شبه الجزيرة العربية من خلال التحالفات السياسية (مع القبائل العربية) وكذلك الحملات العسكرية. كما لم تكن الصحراء السورية مسرحا للحروب في هذه الحقبة وحدها وانما شملت هذه الحروب شبه الجزيرة العربية. اذن ضمن هذا الاطار (من حروب وصراع وتحالفات) تكون المجتمع البدوي الذي اريد ان اصفه الان.

يرتبط تنقل البدو ـ بصورة منظمة وفي اوقات محدودة ـ بطبيعة شبه الجزيرة العربية، من حيث وفرة المياه ووجود المراعي وعلاقة ذلك بفصول السنة المختلفة. ففي الربيع

١٦ ـ كان عرب الحيرة يتميزون بكونهم ذوي حكومة قائمة بذاتها تحكم نفسها بنفسها ضمن حدود اختصاصاتها التجارية راجع : Qleary. Arabia bekore muham mad. london 1926.p. 156

تغطي النباتات السهوب والصحاري الرملية ذات الحصا وتتوفر في وقت قصير جدا لاتحتاج الماشية فيه الى الماء، كما ان البدو يعيشون على البان قطعانهم. وفي الصيف يعود البدو من المراعي الربيعية الى مناطق الابار والعيون. وفي الخريف والشتاء يلجأ الى الواحات اذا لم يسقط الغيث ويجب على البدو اثناء الاستفادة من المراعي او اثناء الرعي في فصلي الربيع والخريف ان يوزعوا انفسهم في مجموعات تتكون من ٥٠ - ١٥٠ خيمة. اما في بقية فصول السنة فيكون التجمع اكثر تركيزا لان طبيعة (ظروف الحياة في شبه الجزيرة العربية) تجبر التجمعات الصغيرة من اجل الامان ان لاتكون بعيدة ولايفصل بينها اكثر من مسيرة ساعة واحدة كي تستطيع ان تصد اي هجوم مباغت للعدو. واحيانا يتألف التجمع من حوالي (٥٠٠) خيمة اذ يسيطر في البادية قانون الدفاع عن النفس اذا لم يحجم من خلال قرابة الدم (رابطة الدم) او الاحلاف القبلية.

ان الحياة الاعتيادية في البادية واقعة تحت التأثير المتغير للنظام السياسي والاجتماعي للبدو الذي يسمى بالنظام القبلي الذي يعتمد على رابطة الدم المشترك. كما يمكن للافراد او الجماعات ان تنضم الى قبيلة معينة اما عن طريق المواخاة او الجيرة فتندمج فيها كليا على تعاقب الايام، ورابطة الدم المشترك تتصل بما يسمى بالثأر ودفع الدية ومن الطبيعي ان يدفعها البدوي من ماشيته، كما ان الديّة لاتقتصر على القاتل وانما يساهم بها كل فرد من افراد القبيلة. وهذه القاعدة تنطبق على كل حالات القتل كما يساهم كل فرد حرّ في القبيلة في الحروب ان ممارسة طلب الثأر تعتبر من اهم حقوق القبائل لحماية نفسها في البادية تجاه القبائل المجاورة والاغراب والاعداء وغيرهم من المعتدين. كما ان حماية الفرد في بداية الامر بمجموعات صغيرة تتجول مع بعضها باستمرار وتبني مضاربها مجتمعة. اما المجموعة الاكبر فتسمى عشيرة وتكون مع فروعها مجموعة متضامنة نسميها القبيلة. وان هذا التضامن لايخرج عن حدود افراد القبيلة الواحدة، كما ان الباحث (في التراث العربي القديم) يجد حروبا متكررة بين القبائل تسمى ايام العرب وتحدث لاسباب بسيطة حقا. كما ان هذه الحروب تنشب متكررة بين فروع القبائل الكبيرة اكثر مما تحدث بين القبائل الكبيرة نفسها، وان النسب المشترك هو رابطة القبيلة (اي عصبية القبيلة) اذ ان القبائل كانت عندما يتضاعف عددها ويكثر افرادها تضعف عصبيتهم وتعيش في كتل منفصلة عن بعضها، غير انها تظل متمسكة بوحدتها من خلال الافتخار بانها تنتمي او تزعم بانها تنتمي الى جد مشترك واحد من خلال الاحساس بانهم متساوون (في الحقوق والواجبات).

في هذا النظام القبلي لاتوجد قيادة مركزية وانما هو بقايا النظام الابوي القديم ولايكون لزعيم القبيلة سلطة القيادة الا اذا كان معينا من قبل دولة او مدعوما منها هي

الحال مثلا عند الغساسنة) والافهو اذن الاول بين اقرانه، وسطوته اوسلطانه ورثها اعتياديا. كما ان مركزه يتطلب ثروة واضحة من الماشية، لانه يجب عليه ان يكون مضيافا بلا حدود. كما يجب عليه ان يساهم بمقدار اكبر من اقران قبيلته عند دفع الدية فضلا عن ذلك فان هذه الثروة تعطيه امكانية تعدد الزوجات وبالتالي تعطيه فرصة انجاب عدد من الاطفال اكثر من البدو الاعتياديين الذين انهك زوجاتهم الفقر والعمل وقل بذلك انجابهم للاطفال. وبذلك ينال شيخ القبيلة السلطة ويضمن استمراره في مركزه المشيخة وتعويضه (بكثرة الابناء) عن اية خسارة وتحت ظل احلك الظروف.

وهؤلاء البدو على المام بالنثر وكذلك بالصورة الفنية الشعرية ـ غير انهم قليلو الحماسة للدين ـ ويدخل في مضمار النثرالكلمة الحية لشيخ القبيلة والحكيم والخطيب اما في مضمار الصورة الفنية فيدخل الشعر. والشعر من الابواب الفريدة في نوعها والتي يستطيع الشاعر من خلالها ان يعبر عن اموره الخاصة ومايتعلق بقبيلته (لذلك تحتفل القبيلة بمولد شاعر لها). ويسترجع، اي الشاعر في شعره تصوير وحدته في البادية كما يصور المناسبات العاطفية، وكذلك اقرانه من القبيلة. وقد تركت هذه العزلة في البادية وعالمها من الحيوانات بصمات قوية وصلت حد الامور الدقيقة في تصويره الفني للشعر، وقد كان الخطيب والشاعر من ارقى الطبقات عقلا عند العرب وكانوا يتكلمون بلغة جديدة هي لغة (القران الكريم). وقد دخل الدين المسيحي (شبه الجزيرة العربية) عنوة منذ القرن الرابع الميلادي حيث ثلم ماكان عليه العرب من اعتقاد. وانه اي الدين كان بحاجة الى رهبان يمارسون الطقوس اكثر من حاجته الى نشر الحقائق بالاقناع، ولهذا فان الدين المسيحي لم يستطيع هدم النظام الاجتماعي في شبه الجزيرة العربية. كما انه كسب مجموعة قليلة منهم.

ان علاقات القبيلة التي تعبر عن نفسها من خلال اللغة الجديدة والشعر الذي لم يقتصر وجوده على البدو فقط، وانما تعدى ذلك الى الحضر في المدن قد تغيرت من خلال الواقع الذي يحيط بها. وهذا ما ينطبق على كل الواحات ـ باستثناء الواحات التي تقع في الشمال الغربي والتي يسكنها اليهود ـ اي التي تسكنها قبائل عربية او من اصول بدوية متحضرة والذين يربطهم وازع اجتماعي مشترك **«فانا نكره القاله في العرب»**؟ وهذا الوعي الجماعي يتجسد في عبادة متكاملة عند قبائل وسط شبه الجزيرة العربية: الحج نحو عرفة في مكة والقيام بالزيارة المعتادة للمعبد المكي ـ الكعبة ـ وهذا يرتبط باللقاء المميز في سوق عكاظ. وان العرب قبل الاسلام كان لديهم الشعور بانهم شعب واحد، رغم عدم شعورهم ربما بمعنى **«الامة»** وهذه الوحدة حصلوا عليها ببداوة شبه الجزيرة العربية.

ان الوعي الجماعي واللغة الجديدة قد بلغت الشمال حتى بلاط الدولتين

(الغساسنة والمناذرة) ووصلت في الجنوب الغربي الى الحد الذي وصل اليه الشعراء والصعاليك. وتظهر هذه اللغة في مانسمية بأدب الايام (أي ايام العرب) التي تروي احداث القبيلة باسلوب شعري منثور - ويعني هذا ان اللغة الجديدة وصلت حتى الحدود الجنوبية فيما نسميه اليوم عسير ونجران، لابل وصلت ابعد من ذلك جنوبا من خلال تجوال القبائل وكذلك التجارة. كما انتشرت في قصور اذواء جنوب شبه الجزيرة العربية من خلال الشعراء المتجولين (امثال الشاعر الاعشى) كما هي الحال بالنسبة الى البروفنسيين في العصور الوسطى الاوربية.

وخلافا لذلك مكث احفاد السبئيين القدماء والحميريين في عزلة ناتجة عن الترفع. وكان لديهم وعي تاريخي مبني على اساطير ومعارف ذكرتها نقوش حديثة (اخر نقش منها يعود الى سنة ٥٥٤م) مكتوبة باللغة الحميرية. وهذا مالم يوجد نهائيا عند عرب الشمال.

لقد انضوت القبائل البدوية في المدينة مع الجماعة الدينية - السياسية التي انبثقت عن الاسلام منذ عام ٦٢٢م وعلى نحو تدريجي. وقد استمر الفزع - من خلال الحملات العسكرية - الذي اصاب القبائل العربية القريبة في زمن مبكر ليشمل القبائل العربية البعيدة متأخرا الى سنة ٦٣٠م بسقوط مكة ومن ثم انضمام سكان الواحات الشرقية من شبة الجزيرة العربية الى الجماعة الجديدة. غير أنه بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة اشتركت قبائل كثيرة في الردة. وشملت هذه الردة اماكن كثيرة من شبه الجزيرة العربية. وكان السبب الجوهري لذلك ان بعض القبائل العربية لاترغب في دفع الزكاة. وهناك ملاحظة مهمة وهي ان عرب جنوب شبه الجزيرة العربية وعمان الذين لم يكونوا من البدو (الرحل او الاعراب) بقوا مخلصين للارستقراطية المدنية(نسبه الى المدينة المنورة) ومما هو ملفت للنظر ان العصيان قضي عليه بصورة سريعة ومذهلة. كما اختفت المطالبة بالثأر بعض الشيء اثر حروب التحرير - التي تلت نهاية حروب الردة - ان الباحث لايستطيع ان يخمن حجم مساهمة البدو في هذه الحروب، والسبب يعود الى ان نصف سكان الجزيرة العربية كانوا تقريبا من الحضر اما في جنوب شبه الجزيرة العربية (وبضمنها عسير اليوم) وحيث الكثافة السكانية فقد كان الحضر، يمثلون الربع تقريبا. كما توجد قرب نهر الفرات قبيلتان بدويتان هما بكر وتميم اللتان اسهمتا في (نشر الدين الاسلامي)في ايران.

كونت الطلائع الاولى للجيش حجر الاساس للعرب في المناطق التي حرروها فقد تبعتهم عوائلهم الى المناطق التي عسكروا فيها وفي مدة متأخرة هاجرت جماعات اخرى استوطنت اعالي الفرات واستقر قسم منها في مصر بتوجيه من السلطة المركزية واندفعوا في مدة تالية باتجاه الشمال.

وقد احدثت الهجرة تغيرا عميقا في النظام الاجتماعي، فقد اظهرت التحالفات

القبلية في الاقاليم الى الوجود مجتمعا له كل الخصائص الواقعية للمجتمعات. كما اوجدت وحدة مثالية في شبة الجزيرة العربية وهذا يتجلى واضحا في الامصار التي انشئت حديثا ـ البصرة والكوفة والقاهرة القديمة ـ فقد وجدت في البداية في هذه المعسكرات الصغيرة تكتلات ذات طبيعة تحالفية تختلف في حجمها. بينما كان قيام مثل هذه التحالفات امرا ليس بالسهل الا في مجال ضيق في شبه الجزيرة العربية لتباعد مناطقها واختلاف مصالحها، فقد كان لكل منها مصالح معينة تقف على النقيض من مصالح تكتلات اخرى. ويمثل القبائل العربية في البصرة بصورة رئيسة بكربن وائل وتميم وفي الكوفة تتمثل جميع القبائل العربية. وقد توزعت القبائل العربية في البصرة حسب انتماءاتهم القبلية ووزعوا في خطط (وهي خمسة اقسام ادارية) أما في الكوفة فكانت الأقسام الادارية موزعة توزيعا آخر (وهي أربعة اقسام أدارية) غير انها كانت طبقا للانتماءات القبلية ايضا. وقد حمل العرب هذا التقسيم في الجيش وهو نفسه الذي استعمله العرب في استيطانهم. وقد أعاد هذا التقسيم نفسه في ايران وبعيدا في الشرق والسبب يعود الى ان هذه المناطق فتحت من قبل الجيش العربي الذي يتكون من القبائل الساكنة في البصرة والقبائل الساكنة في الكوفة. وبقيت صلاتهم قوية بقبائلهم في البصرة والكوفة على ان ارتباطهم بالمجتمع القبلي في شبة الجزيرة العربية والذي انحدروا منه اصلا فقد تدريجيا. غير انهم بالمقابل حافظوا طويلا على صفات معينة لحياتهم القبلية السابقة. وبالرغم من ان الدولة كانت تقبل بانساب القبائل غير ان ذلك كان بسبب صعوبة للحكام في التنفيذ لان القبائل تحمي افرادها من السلطة كما تحميهم من الافراد(القبائل المجاورة) ولان الخطورة تكمن في العصبية القبلية فقد عاشت في البصرة قبائل بكر وتميم وكانت على صراع مستمر وهو استمرار للصراع القديم في عصور ماقبل الاسلام. اذ زادت هجرة قبائل الازد وهي قبيلة جنوبية من عمان في حوالي ٦٨٠م حدة هذا الصراع عندما تحالفت مع قبائل بكر وزادت من قوتها وظهر في كل مكان وفي الوقت نفسه اصطلاح لمجموعة جديدة ليست مستقرة في مكان ثابت: قيس، مضر (= قيس وتميم) ربيعة (= بكر واتباعها). اما تحت مصطلح قحطان فقد تفرعت مجموعات قبلية اخرى. ان الصراع القبلي في الكوفة (فيما نسمية العصبية القبلية) كان يغطى باطار الانقسام الديني. اما في القاهرة القديمة فلا نجد وجودا للصراع القبلي لان القسم الاعظم من سكانها من اصول يمانية.

ان العلاقات القبلية في سوريا قد اخذت طابعا اخرا اذ اصطدمت القبائل المهاجرة الى العراق بشعب غريب[١٧] اما في سوريا فقد اصطدمت هذه القبائل جزئيا بقبائل

١٧ ـ نحن لانتفق مع المؤلف لان العرب سكنت العراق قبل مجيء الاسلام وساهمت مع العرب المسلمين في تحريره بل ان بني شيبان حاربوا الفرس قبل الاسلام وانتصروا عليهم في معركة ذي قار.

عربية سبقتها في الهجرة الى الشام هي القبائل الغسانية التي كانت تحكم الدولة الحاجزة في منطقة النفوذ البيزنطي. وتتكون هذه القبائل من ثلاث مجاميع: في البداية نعد من بينها قبائل تنوخ التي سبق ان ذكرناها في هذا البحث والمجموعة الثانية هي تلك القبائل التي نزحت من الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية ببطء الى اقليم شرق الاردن خلال المدة البيزنطية. اما قبائل المجموعة الثالثة فقد وصلت في بداية الاسلام الى تدمر قادمة من شمال المدينة عابرة الصحراء السورية وكانت قبائل كلب تمثل طلائعها الاولى. وهذه القبائل (اي قبائل كلب) تصاهرت مرارا مع الاسرة الاموية الحاكمة في دمشق منذ سنه ٦٤١م وبسبب هذه المصاهرة أسهمت قبائل كلب بقيادة كل العرب (العاربة). وبالمقابل كون (العرب المستعربة) وحدة لقبائل وسط شبه الجزيرة العربية ولان عرب الجنوب استظهروا في الاصل على القبائل المهاجرة الاخرى حيث وقف القسم الاكبر منهم في سوريا الى مصر بعد الفتح الى جانب (الاسرة الاموية الحاكمة). وبالرغم من ان (العرب المستعربة) كونت مجموعة باسم قيس مقابل (العرب العاربة) غير انهم عاشوا بسلام مع بعضهم البعض الى ان حدث النزاع(بين الاسرة الاموية الحاكمة وابن الزبير) فقد تحولوا الى حزبين معاديين وتوترت الاوضاع في بلاد العرب وقد قاد هذا التوتر الى معركة وقعت شمال دمشق. حيث وقفت قبائل كلب وأشياعها الى جانب عرب الجنوب من اجل المطالبة بالحكم الاموي. بينما ظهرت قبائل قيس الى جانب مدعي الحكم المكي وذلك سنة ٦٨٤م[١٨] حيث منيت قبائل قيس بهزيمة منكرة. وكان الدم المسفوك عاملا محركا لحرب ثأر توسعت فيها جهات القتال فشملت في الدرجة الاولى قبائل كلب واشياعها وكل من يعرف عنه انه من عرب الجنوب في هذا الوقت نفسه الذي بدأت فيه الاضطرابات في سوريا كانت القبائل المتخاصمة في البصرة تتقاتل في شوارعها. وفي الشرق تطورت الحالة بين القبائل الى مصادمات حربية. ثم اخذ العداء (اوما نسمية العصبية القبلية) يتطور تدريجيا بين قبائل مضر وقبائل ربيعه، وبين قبائل عرب الشمال وقبائل عرب الجنوب الى عداء وعصبية حزبية عمياء. وقد عبرت العصبية القبلية حدود شبه الجزيرة العربية حيث وصلت الى شمال افريقيا واسبانيا. كما ان هذه العصبية القبلية اضعفت القبائل العربية في الشرق وخسرت اسبانيا في الغرب. وسقطت الدولة العربية المتمثلة بالاسرة الاموية وكان سقوطها مرتبطا ايضا بالانقسام الديني.

نشير مرة ثانية الى ان العصبية القبلية تنعكس في انساب القبائل العربية. وقد توجد الانساب ومؤلفاتها في شعوب كثيرة غير ان نسبا يضم شعبا كاملا (مع التفاصيل الدقيقة في علم النسب) بكل رجاله المهمين ونسائه في الاف الاسماء ومن العصر

---

١٨ ـ يقصد بها معركة مرج راهط التي وقعت سنة ٦٤ هـ.

القديم الى الوقت الحاضر لايوجد الاعند العرب فقط.(وعند النسابة) قسم العرب الى قسمين عرب الشمال وعرب الجنوب. وقد بدأ هذا العمل (في جمع الأنساب) طبيعيا وليس من بواعث سياسية فقط، وانما دينية (اجداد الرسول (ص) الشهداء في الاسلام وحفظة القران الكريم) وعلمية. ومن المؤكد انه لم ينشأ علم النسب العربي بعيدا عن التأثير التوراتي. اذ ان العهد القديم يحتوي على اسفار تذكر الانساب وتوجد سلسلة كاملة من علماء الانساب الذين عملوا في هذا المجال وهم الذين حفظوا نتائج تعّد قيمة في عصرها ضمن المدرسة الكوفية التي تخصصت في نحو سنة ٨٠٠ بالبحث التاريخي القديم محاولة في الوقت نفسه ان تبتعد عن الخيال والاساطير.[١٩]

في البداية لابد من ملاحظة انساب عرب الشمال ـ شكل ١ ـ وما اقدمه انا هنا هو مخطط فقط. وهذا المخطط غير كامل ولايضم الا الطبقة العليا من الانساب. ان هذه الاسماء تمثل في ذاتها اسماء اشخاص وهي في الوقت نفسه اسماء لقبائل. ومن اجل ان نعطي هذه السلسلة من الانساب بعدا زمنيا ونربطها بالتاريخ نلاحظ هنا. ان النبي محمد (ص) المولود سنة (٥٧٠م) ينحدر اساسا من ثمان اجيال كما رسمت مسودتها هنا.وعامر يمثل الحلقة الاقرب عهدا من الرسول (ص)ـ والتقطيع في الخط تعني هنا : الزيجة ب، والنساء وضعت (نجيمة) قبل اسمائهم، الاحلاف القبلية والمجاميع القبلية كتبت بحروف كبيرة. اما الشعب فكتب بحروف ضخمة. ونحن نعرف من الاحلاف القبلية بكرا وتميما. وقد سكنتا في الحقبة المتأخرة في البصرة وفارس. ومن المجاميع القبلية نعرف مجموعة قيس فضلا عن ربيعه ومضر. ان اسم ربيعة ومضر لم يكتبا (في هذا المخطط) بحروف كبيرة والسبب في ذلك ان هذين الاسمين في الاصل لايمثلان مجاميع قبلية في علم الانساب. وتحت اسم الشعب نجد اسم نزار حيث اتجه في القرن الثالث قسم منهم نحو الفرات وكان من اللازم حقا وضع اسم معد ونزار (في مخطط النسب) الواحد جنب الاخر بدلا من ان يكون اسم نزار تحت اسم معد. ولكن الى اي حد يكون ذلك صحيحا ان قبائل خندف تنحدر من نزار دون حلقة الوصل مضر. وان قبائل قيس تنحدر من معد ولكن ليس ربيعة. وان هذا الاسم يغطي سلسلة من القبائل التي استقرت في مرة من المرات في مكان ما من وسط شبه الجزيرة العربية في المنطقة الجبلية من طويق[٢٠] وكونت هناك شعبا فقدنا اسمه، وربيعة

١٩ ـ يقصد هنا ابن الكلبي. راجع : F. Altheim - R.Stiehl . Die Araner in der alten Welt. Vol. 4. pp. 3- 4

٢٠ ـ سلسلة جبلية شديدة الوعورة تقع في منتصف هضبة نجد. ارتفاعها (٦٠٠) قدم تبدأ شرقي مكة وتسير في وسط الهضبة نحو الشمال الشرقي. وقد قامت في وديان هذه الجبال مدينة حصينة جدا هي مدينة الدرعية التي تقع في منخفض جبال طويق وفروعه. راجع : مجلة العرب ج١ م١ص٢٠، ج٢ م٢ ص ٤٤.

شكل خرافي ظهر واعتمد عليه متأخرا. اما اسم مضر فقد ذكر كثيرا في الشعر العربي القديم غير ان السؤال يبقى وهو لاي غرض ذكر الاسم؟ ان التقسيم الى ربيعة ومضر يعكس بالبديهة العلاقات القبلية في الحقبة الاسلامية وهناك بالاضافة الى ذلك ملاحظات اخرى لاتتماشى مع سلسلة النسب هذه.

اولا: كيف يكون من الممكن ان نضع اسم مضربين خندف ونزار بالرغم من ان ماتذكره الانساب هو خندف ـ نزار. وان خندفا اخيرا هو اسم معروف لدى الناس.

ثانيا: ماذا يعني ارتباط تميم عن طريق اختين له مع خزيمة من جهة ومن خلال زيجتين اثنتين مع قيس من جهة اخرى. مع العلم ان ذلك لايمكن ان ينسب الى الحقبة الاسلامية لان الاسلام حارب العصبية القبلية ولم يشجع الاعتماد على الانساب في تكوين كتلة قبلية. الحق ان الربط بين تميم واسد من جهة وبين تميم وقيس من جهة أخرى كان جاهلياً، أي قبل الاسلام. وقد كانت تميم قبل الاسلام تعادي اسد بن خزيمة وكانت ايضا تعادي غطفان وبني عامر وهما من تحالف قيس. وهذا يثير التساؤل. فمن الذي كانت عنده الرغبة قبل الاسلام في ان يؤاخي بين هذه القبائل ويصلح بينها. ولايمكن ان يرد الامرالى هذه القبائل نفسها مع وجود العصبية القبلية ولابد من ان نفترض وجود طرف خارجي ونستبعد في هذا المجال «الدولة الحاجزة» فقد كانت هذه الدول تتحكم في البدء بواسطة سلطتها الدنيوية والدينية ولاتحتاج الى صنع كتل متآخية من القبائل. وهكذا لايبقى اخيرا غير مكة. ومن اجل معبدها والحج اليه وسوقها (سوق عكاظ) فانها كانت تحتاج الى السلام وقد حقق ذلك جزئيا في ايقاف القتال (في الاشهر الحرم) من كل سنة. كما يلاحظ ان اسم مضر في الاصل ليس اسما لمجموعة متفقة في الانساب وانما اسماً للقبائل المجتمعة حول المعبد في مكة. ان افتراض ان مضر لاتمثل مصطلحا في الانساب، يوضحه السؤال التالي لماذا توضع مضربين نزار وخندف؟، في مكة نعود بالتاريخ الى الوراء الى مكة الوثنية حيث نرى اسم عدنان على راس النظام القبلي (القبائل المستعربة) وهذا الاسم اما ان يكون اسم الهة نبطية او اسم ملوك مؤلهة نبطية ايضا. فقد تأثر العرب (في شبة الجزيرة العربية) في المدة التي سبقت الاسلام بالحضارة النبطية واستمر هذا التأثير مدة طويلة الى مابعد سقوط الدولة النبطية سنة ١٠٦م وقد وصل تأثيرها (اي الحضارة النبطية الى مكة اما حقيقة هذه الاثار في مكة فليس من سبيل لمعرفتها؟.

ان ظهور مخطط لانساب عرب الجنوب ـ شكل ٢ ـ كان نسخة طبق الاصل من ظهور مصطلح نسب عرب الشمال. فقد اقتبس نسابة عرب الشمال القصص القرانية وذكروا ان ابراهيم وابنه اسماعيل بنيا الكعبة. ولاعتماد نسابة عرب الشمال على العهد القديم ولعدم معرفتهم الدقيقة بتاريخ الكتاب المقدس كليا فقد

ربطوانسبهم باسماعيل. على المثال نفسه اختلف نسابة عرب الجنوب في أسم قحطان ووضعوه رمزا لنسبهم وقد ورد (أسم قحطان) في التوراة بأسم يقطن. إن النسابة من عرب الشمال والجنوب افترضوا أن نسبهم موجود في التوراة ولكن ظهر فيما بعد اتجاه يرفض النصوص المقتبسة من التوراة او اي نصوص غير عربية اسلامية اخرى. ومن هنا جاء اعتبار ابراهيم وابنه اسماعيل مسلمين لذكرهما في القران الكريم. كما اشير الى ان احد الملوك الحميريين كان مسلما وذلك قبل ظهور الاسلام وان عرب الشمال هم الذين يديرون دفة الحكم ويفتخرون بقرابتهم لقريش. وقد رد عرب الجنوب على ذلك بمغالطات تاريخية منها انهم ضاعفوا عدد ملوكهم المعروفين من خلال النقوش كما نسبوا اليهم غزو العالم. وهذه الاحداث لاوجود لها في التوارة طبعا، ونعني هنا ان النسابة الجنوبيين لم يستعينوا بالتوراة الا في اكمال سلسلة انساب قبائلهم.

لنلاحظ الان الانساب: حيث تنتصب حقا سبأ وحمير لتمثل الحضارة العربية الجنوبية قديما وحديثا وسلالاتها الحاكمة. وتنتمي قبائل همدان هنا لهذه المجموعة. وهي قبائل ظهرت منها سلالات كثيرة حاكمة ايضا وهذا ماهو معروف في النقوش العربية الجنوبية. وعندمايفصل الباحث قبائل همدان عن سبأ فان ذلك بسبب ان اقساما من قبائل همدان كانت اثناء ذلك بدوية. واخيرا تاتي المجموعة التي نسبت الى اليمن واسمها مشترك يعني مكاناجغرافيا وهي كهلان وهو اسم قرية (عموما في جنوب شبه الجزيرة العربية تتداخل اسماء الاماكن واسماء القبائل بعضها ببعض، ولهذا فقد اختيرت كدالات للمجموعات القبلية وقد وضعت كهلان في الوسط بين اقليم مذحج والازد في الشمال وهمدان في الجنوب. ان الاصول البعيدة لمذحج كانت في الاصل معبدا لاله يعبد في جرش التي تقع على بعد حوالي ٤٧٥ كم جنوب مكة. اما طيىء فان لها حالة متميزة لااستطيع ان احددها. . وعلى العكس من ذلك قبائل قضاعة التي لاعلاقة لها بعرب الجنوب وكذلك قبائل لخم وجذام وهي بالنسبة لنا معروفة تذكر مع الغساسنة «العرب القدماء» السوريين. اما قبائل تنوخ واسد (فهي تمثل كيانا خاصا من خلال الاحلاف فقط) ومنهما كونت المجموعة الاولى. ثم الحقت بهم في الشام وببساطة قبائل قضاعة. بالرغم من انها ليست لها صلة قرابة بها. ان هذه القبائل سبق ان ذكرت عند بطليموس، وقديما كانت قبائل تنوخ واسد في داخل شبه الجزيرة العربية. وكان ينبغي ان توضع هذه القبائل في قمة سلسلة النسب وقبيلة جنب قبيلة. واخيرا قبائل قضاعة التي منها قبائل كلب وهي تكون المجموعة الثانية. اما القبائل التي تكون المجموعة الثالثة فهي قبائل لخم وجذام ولم تكن بين القبيلتين صلة قرابة لكنهم ارتبطوا من خلال الجيرة الطويلة. وهذه المجموعة طبقا للرواية الاولى وضعت ظاهريا بين ٦٨٠و٦٨٣م مع قبائل قحطان. وقد اعتبرت قبائل قضاعة (كلب) بعد سنة ٦٨٤م من اليمن (عرب الجنوب) وان كلا المجموعتين كانت في علم

الانساب موزعة على مسارات مختلفة لأن مصطلح قحطان واليمن كان منفصلا قديما ويعد هذا انعكاسا للتطورات السياسية الاسلامية في سوريا، اما المعروف من العصبيات القبلية للجاهلية القديمة فمنه قبائل الازد وهو حلف كبير خرج قسم منه من عسير الى جنوب شبه الجزيرة العربية، ثم اندفع بعد ذلك الى عمان. ثم الغساسنة وهو اتحاد من قبائل تجمعت عند عين ماء تحمل الاسم نفسه الى الشمال الغربي من مكة (عند Muschllalتبعد حوالي ١٢٠ كم عن مكة)- وكذلك القبيلتان اللتان سكنتا المدينة فاي نوع من العلاقات جمعت بين هذه الاقسام الثلاثة في حلف؟ ان صلة القرابة نادرة كما لم تكن بينها جيرة سابقا. وفي الحقيقة فقد كان لهم في مرة من المرات معبد يجمعهم للآلهة مناة في قديد (حوالي ١١٥كم) شمال غرب مكة. وهذا (الاله القومي) اوجد رابطة دينية (تطورت هذه الرابطة بمرور الزمن) على رأي علماء الانساب وتحولت الى رابطة دم وذلك (عن طريق الزيجات بينهم) ازداد عدد القبائل العربية. ومن هنا لابد من اعتبار قبائل غسان وقبائل المدينة من عرب الجنوب.

وقد اختفت الصراعات الحزبية في العصر العباسي منذ ٧٥٠م وذلك يعود الى نوعين من الاسباب: اولهما ان العرب (بوصفهم مؤسسي الدولة العربية) قد اصبحوا في خلفية الصورة ولم يبرزوا امامها مقابل الفرس الذين برزوا امام الصورة* (في هذه الحقبة التاريخية) ، وثانيهما يعود الى ان القبائل العربية اعتمدت في المحافظة على كياناتها على تنظيم نفسها عسكريا وعن طريق «المليشيات» المستمرة. ولم يبق اثر هذا الصراع الا لدى القيسيين واليمانيين (عرب الجنوب) وكان صراعا «حادا» حتى كأن الايمان لم يغير منه شيئا. أما عرب لبنان وفلسطين فلم يتأثروا الا نادرا بمثل هذا الصراع حتى الوقت الحاضر.

ان شبه الجزيرة العربية ومنذ بداية الاسلام تأثرت من خلال عملية الهجرة التي استمرت الى سنة ٨٥٠ ثم عادت لعروقها الحياة مرة اخرى. وسرعان ما وقفت المنطقة على عتبة انقسام خطير ثانٍ وتحت غطاء الدين مرة أخرى، وقبل عام ٩٠٠ بقليل بدأت الفرقة الاسماعيلية المتأثرة بالغنوصية الاستعداد لحركة في ارجاء العالم الاسلامي. وقد انفجرت الحركة اول الامر في القسم الشرقي من شبه الجزيرة العربية سنة ٨٩٩. لقد قامت الحركة ليس من بين اولئك الذين كان يعول عليهم داخل هذه الحركة القرمطية. وقد اختير زعيمان من افراد القبائل وزيرين للحربية والخارجية في المجلس الاعلى لحركة القرامطة. وهذا ما يعزز الاهمية التي اعطتها الحركة للقبائل في فعالياتها القتالية. وبدون سرعة الحركة التي عرف بها البدو وقدرتهم على الصبر

* نحن لانتفق مع رأي المؤلف وغيره من المستعربين غير اننا حاولنا التقيد بالنص ليطلع القاريء العربي على رأي المستعربين.

ومثابرتهم في تحمل التعب وقلة حاحتياجاتهم لم يكن بأمكان الجماعات القرمطية الكبيرة ان تنفذ نشاطها على تلك الرقعة الواسعة، وعلى سبيل المثال ماحدث في ٩٢٧ - ٩٢٩م.

وقد يما دمر القرامطة جيشا كبيرا امام مدينة الكوفة واقتربوا بذلك الى مسافة بضع كيلومترات من مدينه بغداد. ثم توجهوا نحو الفرات ووقفوا عند اعتاب جبال اسيا الصغرى. وبعد هذا تراجعوا الى الوراء دون ان يصابوا باذى وتوجهوا نحو شرق شبه الجزيرة العربية. وهذا ماينطبق ايضا على الجيش الذي توجه نحو فلسطين وسوريا وذلك في عام ٩٦٤ و٩٦٨ فبأي وسيلة استطاع القرامطة ان يتقدموا على فرقة الاسماعيلية التي أفلت في الشمال الغربي من افريقيا وانحسرت من تونس واحتضنتها مصر؟ وبعد فتح مدينة القاهرة حدث تصدع بين الاتجاهين (القرمطي والاسماعيلي) اذ ان الاتجاه القرمطي في مصر شكل نقيضا داخليا في الحركة الاسماعيلية كما ان البدو تركوهم وحدهم في مأزقهم ولم تستطع فرقة الاسماعيلية ان تقف على رجليها مرة اخرى.

ان الحملات العسكرية القرمطية دفعت بالقبائل في موجة جديدة نحو سوريا والعراق وما بين النهرين والشيء المفاجيء هنا انها قابلت موجة اخرى. تلك الموجة جاءت من الشمال. وقد حدث في النصف الاول هنا انها قابلت موجة اخرى تلك الموجة جاءت من الشمال وقد حدث في النصف الاول من القرن العاشر الميلادي ان فقدت القبائل المستقرة في شمال البادية السورية تحضرها وعادت الى نمط حياتها البدوية الاصيلة. وفي عام ٩٥٠ جاوز قسم من هذه القبائل نهر الفرات. واخذت تتوسع تدريجيا الى مدينة الموصل. واخيرا وصلت اقليم العراق حيث التقت هناك مع القبائل القادمة من الجنوب.

بدأت الدولة العباسية في اثناء هذا الوقت تتفكك الى دويلات صغيرة. وان زعماء القبائل تآلفوا سريعا مع هذا الاتجاه، فقد حاولوا تحويل المناطق المسكونة من قبل قبائلهم الى امارات حاكمة. واضطر الحكام في بغداد أن يرضوا بوضعهم لأنها الطريقة الوحيدة الممكنة، ولعل ذلك يعود الى ان المنطقة غارقة بالقبائل البدوية القادمة من أجل المال. في مثل هذه الدولة «ذات الطابع البدوي» تمتزج الاصول المستمدة من القيم البدوية بما يستجد من متطلبات الدولة في نظام خاص. فقد كان لهؤلاء الامراء قصور خاصة بهم في عواصم حكمهم ولهم وزرائهم الاانهم كثيرا مايتحولون الى الحياة البدوية في الخيام ليقضوا بها جانبا من وقتهم مؤثرين اياها على ترف القصور وقد وجد منهم من ينحي جانبا حياة المدينة ويعيش كليا حياة بدوية في الصحراء بدلا من سجن نفسه في دوائر الدولة. كما ان موافقة القبيلة بقيت امرا ضروريا عند تعيين خلف للامير وتكون القبيلة اساس الجيش، وكان على الامراء ان

يقضوا جانبا من حياتهم في العمليات العسكرية لان القبيلة لم تكن قادرة على الوفاء بكل متطلبات الحكم وصعوباته، وقد اظهر هذا التداخل بين قيم القتال البدوية وتقاليد البلاط نمطا جديدا من الفروسية بدا غريبا عن النمط الذي كان سائدا في الحياة البدوية.

لقد ازالت السلالة التركية السلجوقية التي حكمت في العراق عام ١٠٥٥ تدريجيا معظم الدول ذات الاصول البدوية. وان اخر دولة ذات اصول بدوية انضمت الى الصراع بين الخلافة العباسية الناهضة(في زمن الناصر لدين الله)والسلاجقة، حيث انتهى بسقوطها عام ١١٥٠، وثمة تمرد قامت به قبائل اسد واستطاعت الخلافة بعد صراع مضن التغلب والقضاء عليهم.

وفي سوريا كانت العلاقات التي توجد في العراق نفسها، من حيث وجود الهجرة الجديدة في الجنوب والبداوة في الشمال، غير ان ظهور مثل هذه الدول كان قد توقف من خلال نموذج اخر للتطور السياسي، فقد انتهت المنطقة عام ١٠٢١ الى التقسيم بين ثلاثة من زعماء القبائل غير ان واحدا منهم كانت له السيطرة على الوضع بعد ذلك.

لابد لنا الان من ان نلقي نظرة نحو شمال افريقيا اذ نجد ان اثنتين من القبائل التي سكنت مصر مدة طويلة انفضت عام ١٠٥٠ بالقوة وهي: قبائل هلال وسليم تحت ظروف سياسية غير ثابته كليا او متأكد منها واتجهوا نحو الغرب، اذ غرقت تونس بهم، وفي القرن الثاني عشر اخترقت الجزائر ومراكش. وهذه الهجرة حولت شمال افريقيا الى بادية وجعلتها ارضا عربية. ولهذا فان سكانها الاصليين وهم البربر اصبحوا ومنذ هذا الوقت في الصورة الخلفية[٢١].

وفي عهد الحملات الصليبية اجبرت بعض القبائل نصف البدوية على التعاون معهم من اجل البقاء في وطنهم وعدم تركه وهذا الشيء نفسه عاد في المدة التي نتحدث عنها.

وبعد سقوط بغداد عام ١٢٥٨ على يد المغول اصبح للبدو في البادية السورية قيمة سياسية، فان المغول جندوا بعض البدو من العراق، وان المماليك جندوا بعض البدو من مصر وسورية. وان البدو في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠ في فلسطين نهبوا الجيش المغولي المنهزم سواء من كانوا معهم او من كان مع المماليك. ثم كان الظاهر

---

٢١ ـ نحن لانتفق مع راي المؤلف لان شمال افريقيا سكنته القبائل العربية قبل ظهور الاسلام. راجع: التهايم ـ شتيل، دراسة في التاريخ السياسي والفكري للعرب قبل الاسلام (مجلة الفكر الحي. العدد الثاني بصرة ١٩٦٩) ص ٨٦.

بيبرس[٢٢] السلطان الثاني لدولة المماليك وهو من سلالة المماليك الايوبية في مصر وسورية وقد برزت الى العالم دولة عسكرية في عهده، وقد جند القبائل العربية على خط نهر الفرات والقبائل في شرق شبه الجزيرة العربية من اجل القيام برصد تحركات المغول وازعاجهم عن طريق الاغارة عليهم. واستعار سياسة الايوبيين الاواخر المتمثلة في الاستعانة بزعماء بعض القبائل السورية المهمة الذين يحملون لقب امير داخل نظام حكمهم العسكري الاوتوقراطي، ومن العجيب ان المماليك استطاعوا تجنيد بعض القبائل العربية للخدمة في الحرب في مقابل اقطاعات زراعية. وبعض هذه القبائل كانت قبائل بدوية كبيرة وكمثال على ذلك قبائل فضل [٢٣] التي كانت تأتي في فصل الصيف الى شمال سوريا، اما في فصل الشتاء فانها تذهب الى عمق الجزيرة العربية وهناك تعقد تحالفات مع قبائل عربية اخرى. وفي الحقبة المغولية (وضمن منطقة سيادتها السياسية) انتهى تجوال القبائل العربية وارغم زعمائها رغم اللقب المملوكي الذي يحملونه، على اتخاذ سياسة متأرجحة (اتجاه السلطات المركزية) خصوصا بعد الاحجام عن دفع المال لهم، ولهذا فقد حدث احيانا ان كان امير حاكم يقف بقسم من قبيلته الى جانب المغول بينما يكون اخوه قد استلم قيادة القسم الاخر في سوريا والعكس صحيح. ويبدو ان المغول كانوا يظهرون سخاءهم لتشجيع هجرة القبائل البدوية من مناطق النفوذ المملوكي الى مناطق نفوذ هم وذلك بتخصيص ايرادات الدولة من مدن الكوفة والحلة والبصرة لهم. بعد سنة من احتلال العثمانيين لسوريا عام ١٥١٦ احتل العثمانيون مصر مما ادى الى تغير سياسات القوى بين القبائل السورية، وهذا مايحدث عادة عند حصول تغير في السيادة السياسية. وقد حل الموالي[٢٤] محل قبيلة فضل العربية ولم يعط العثمانيون اي اهتمام باي زعيم من زعماء القبائل العربية. وسأهمل ذكر اسماء هذه القبائل لانها لاترتبط بتاريخ هذه الحقبة التي

---

٢٢ ـ وهو الامير ركن الدين بيبرس احد زعماء المماليك البحرية والذي كان له دور مميز في قتال الصليبيين في معركة عين جالوت (بين بيسان ونابلس) سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م حيث اوقع بالصليبيين وشتتهم. ويعتبر ركن الدولة الظاهر بيبرس المؤسس الحقيقي لدولة المماليك في مصر والشام. وقد لبث في السلطة سبعة عشر عاما حيث حكم من سنة ٦٥٩ ـ ٦٧٦هـ/١٢٦٠ ـ ١٢٧٧ م. راجع:
الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: الظاهر بيبرس (اعلام العرب ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي) القاهرة ١٩٦٣.

٢٣ ـ قبائل فضل وهم امراء طي. للتفصيل راجع عباس العزاوي، عشائر العراق (بغداد ١٩٥٦) ٣/٢٠٠، ٤/٨٢، ٤/١٩٨.

٢٤ ـ وهم من قبائل العراق. عباس العزاوي عشائر العراق ٣/٢٠٠.

تذكرنا بالعصور القديمة العربية خصوصا في بادية الشام في القرن الثامن والسابع ق. م وثانية في حقبة ازدهار تدمر.

ومنذ دخول البرتغاليين البحر الاحمر واغلاقه بوجه التجارة الهندية والتي كانت تسير منذ مدة طويلة عبر القاهرة نحو البحر المتوسط اخذت الدولة تفتش عن طريق جديد لها نحو الغرب وقد ادى الطريق الذي يقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات ويسير خلال البادية دورا جديدا (في التجارة الهندية) وكان المركز الاساسي لهذا الطريق البري المدينة الصغيرة «عانة» حيث تلتقي الطرق القادمة من البصرة وبغداد والموصل وتتشعب بعد ذلك الى حلب وطرابلس ودمشق. في ظل هذه الظروف تكونت في عام ١٥٥٠ دولتان بدويتان [٢٥] في وادي نهر الفرات، كانت الشمالية منهما تابعة للموالي، اي انها تحت السيادة العثمانية، اما الجنوبية فكانت تحت السيادة الفارسية لان الفرس قد غزوا العراق عام ١٦٢٣. وفي حرب العثمانيين مع الفرس،انتظر العثمانيون مساعدة الموالي، لهم وقد امد الموالي جيش السلطان مراد الرابع في حصاره لبغداد عام ١٦٢٨ بعشرة الاف جمل. وباحتلال بغداد قربت الدولة البدوية الجنوبية من نهايتها كذلك اضمحلت التجارة البرية بسبب ابتعاد مركز الاحتكار البرتغالي من جهة وظهور الاسطول الهولندي والانكليزي من جهة اخرى مما ادى الى ضياع قيمة دور الطريق التجاري الشمالي، ثم قلة الضرائب وقساوة الموظف العثماني مما ادى الى سقوط الاقتصاد الى درجة غير معقولة، حتى لجأ الموالي الى القيام باعمال النهب.

وقد اعطى العثمانيون زعماء الموالي بيرقا [٢٦] لتحصيل المال اذ كان سابقا مع قبائل الفضل في سوريا وعانة ونلاحظ هنا علاقة ذلك الارتباط بالتنظيمات المملوكية

---

٢٥ ـ ان قبائل الموالي كانت تقوم بحراسة التخوم الشمالية في القرنين السادس عشر والسابع عشر وكان زعيمهم ـ ولقبه الوراثي ابو ريشة ـ وعاصمته عانة. ويحكم المنطقة الممتدة من هيت الى بيرةجك واطراف منطقة العشائر السورية. ويتمتع بدخل منتظم من الضريبة المفروضة على القوافل بالاضافة الى الهبة السنوية العثمانية. اما الدولة البدوية الاخرى والتي قصدها هنا ربما دولة المشعشعين والتي حكمت في الجنوب من سنة ١٤٦١ ـ ١٦٦٥م وذكر لونكرك:
ان علاقته (اي والي الحويزة ـ الدولة المشعشعية) مع ايران تتذبذب بين الخضوع والاستخفاف) للتفصيل راجع: ستيفن هـ. لونكريك. اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. ترجمة جعفر الخياط. ط الثالثة بغداد ١٩٦٢ ص ٣٩ ص ٤١ وهاملتون جب ـ هارولد بوون: المجتمع الاسلامي والغرب. ترجمة د. احمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف بمصر ١٩٧١ ج٢ / ٥٠ ـ ٥١.

٢٦ ـ البيرق تسمية استخدمت في العهد العثماني احيانا للدلالة على مجموعة من الجنود وهي ترادف مانسميه (سرية) من الجند في الوقت الحاضر.

السابقة وعلى سبيل المثال تنظيم حماية قوافل الحجاج. وحتى نهاية الخلافة العباسية عام ١٢٥٨ كان طريق الحاج من بغداد هو اهم هذه الطرق . وكان الحاج المصري تحت السيادة المملوكية الى جانب طريق الحاج الشامي الذي كان تحت السيادة العثمانية وبه تبدأ الرحلة الصحراوية لحجاج المناطق الشمالية من الامبراطورية ، وقد بات من الضرورة بمكان توفير حماية متميزة لقوافل الحجاج خلال زمن القرامطة في عام ٩٣٨-٩٣٩ وكان القرامطة قد فرضوا ضريبة على الحجاج وعلى القوافل الحرة المعفاة من الضريبة من قبل الحكومة في بغداد . وبعد سقوط القرامطة اخذت القبائل البدوية هذا الحق . فاذا لم تدفع الضريبة كليا واذا لم تدفع كاملة فان القافلة كانت تستوقف وتكون عرضة للنهب خصوصا عندما تكون الحامية ضعيفة لاتستطيع حماية الحجاج . وبعد قرن من الزمان استطاع المماليك ان ينظموا قوافل الحجاج ويوفروا لها الأمان بعد ماكانت عرضة للسلب والنهب على ان تتكفل القبائل التي يمر بها طريق الحجاج بواجب حمايتها وتستلم الاتاوة لقاء ذلك واصبحت هذه المعاملة اشبه بالاتفاقية بين المسؤ ولين عن القافلة والقبائل العربية . ومن الطبيعي ان هذه الاتفاقية كثيرا ماكانت لاتحترم . ويكمن الخطأ في ذلك على الجانبين وان هذا ماتذكره الاخبار عن الحقبة العثمانية .

لم تعد طلبات القبائل هذه مقصورة على رسوم قوافل الحجاج بل تجاوزتها الى المطالبة برسوم معينة اخرى على القوافل التجارية وعلى المسافرين المنفردين ايضا وكذلك على سكان الواحات والقرى الحدودية التي تقع بمحاذاة المناطق الحضرية ولايختفي وراء ذلك اي شي سوى حق الحماية . حيث يترك الفرد بالدفع حتى اذا كان الامر لايتعلق بالقبائل البدوية وان البدايات لهذا التعديل في حق الحماية وجد منذ عصور ماقبل الاسلام في تنظيم العلاقات بين البدو وبين اليهود الذين يسكنون الواحات المزروعة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، والمثال القديم على ذلك هو ان المخافر الامامية للمناطق الحضرية دفعت إتاوة الحماية للبدو وهذا يعود الى القرن العاشر الميلادي ، وتجسد هذه العلاقة مانجده بين مدينة الرصافة التي تقع في البادية الشمالية السورية مع ديرسر جيوس . ومن الافضل ان نتعرف على وثيقة ديرسيناء[٢٧] التي نفذت بين القرن ١٥ الى ١٧ وهي توضح لنا بحق طبيعة تنظيم العلاقات المعقدة (في دفع الضرائب) لحماية القوافل التجارية . وهذا ماجرى في كل مكان من بلاد العرب وبقي على هذا المنوال في المناطق الحدودية في سوريا وبلاد مابين النهرين الى

٢٧ - تسمى الوثائق التي اكتشفت في المعابد والاديرة باسم جنيزة. وتحتوي على معلومات اقتصادية واجتماعية مهمة. راجع : س د. جواتيان. دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ترجمة الدكتور عطية القوصي،ط. الاولى الكويت ١٩٨٠ ص ١٨٩ - ٢٢٤ .

الحرب العالمية الاولى . وقد اشير الى مثل ذلك في اهمية تنظيم العلاقات في حماية الطرق التجارية والتي بقيت ذاتيا كما في العصور القديمة، غير ان المستفيد من ذلك مباشرة عوائل زعماء القبيلة والرجال المرافقين للقوافل . اما المستفيد بصورة غير مباشرة فهي القبائل نفسها .

في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي نجحت حركة ثالثة خرجت من شبه الجزيرة العربية . كما حدث ذلك في الاسلام نفسه وكذلك حركة القرامطة وتحت دعوة دينية هي الوهابية . ان المؤسسين لهذا الاتجاه يريدون إبعاد الاسلام عن المعتقدات الغيبية للعصور الوسطى والعودة الى تعليمات الرسول (ص) والشريعة الاسلامية السمحة، واقتلاع ماعند الرعاة والفلاحين ومنذ حقبةطويلة من الزمن من الخرافات (وابتعاد عن الشريعة والسنة النقية) . وقد نجح قائد احدى واحات شبه الجزيرة العربية وهو احد اسلاف الملوك (المملكة العربية السعودية) اليوم من انجاز هذا الاصلاح الديني .

وفي عام ١٧٩٤ كانت قد توحدت المناطق الداخلية والشرقية من شبه الجزيرة العربية تحت سيطرة العائلة السعودية كحصيلة لخمسين سنة من الحروب . ثم توجهت بعد ذلك جيوش الوهابيين نحو الغرب وكذلك نحو الجنوب، اي نحو عمان ونحو اليمن كما وصلوا شمال سوريا والعراق ايضا . وفي ١٨١١ ـ ١٨١٨ سقطت الدولة الوهابية الاولى تحت ضربات باشا القاهرة اي السلالة المصرية الحاكمة (سابقا) . ان امتداد الوهابيين يعتبر الموجة البدوية الاخيرة التي تحركت نحو البلدان الشمالية . ان قسما من القبائل البدوية هربت من ارتفاع الرسوم التي فرضها الوهابيون .

اما القسم الاخر فقد انضموا الى جيوشهم . ان هذه الهجرة البدوية اثرت اكثر من مرة على سوريا وبلاد مابين النهرين مما ادى الى انحطاط اصاب المناطق الحضارية

عندما يجد البدو انفسهم في شبه الجزيرة العربية في صراع مع انظمة الحكم المحلية فانهم يبرزون على المسرح السياسي غزاة للمناطق الحضرية المحيطة بهم . وبذلك فقد قدموا خدمة غير قابلة للنقاش في الحفاظ على خصائص ونقاء الشعب العربي (البدوي) . ومنذ ان دخل الاسلام في سوريا والعراق . تدفق حشدٌ لايحصى من الغرباء الى تلك الاقاليم الحضرية على شكل جنود وعبيد وغزاة وموظفين ، من اتراك وفرس وافارقة وقوقاز ومنغول وتركمان وشعوب الامبراطورية العثمانية من الاكراد واللور الذين نزلوا من جبالهم وشراكسة وتتار حيث وجدوا في هذه الاقاليم وطنا جديدا لهم . ورغم ان سوريا وقبلها العراق كانت مناطق عربية إلا انها تدين في استمرار عروبتها الى تدفق موجات مستمرة من البدو .

وقد كانت العوائل العريقة بعد الحرب العالمية الاولى في المدن الكبيرة العراقية

والسورية قد اغتربوا عن عروبتهم وتكلموا التركية ليس عن طريق القهر[٢٨]. لان الدولة العثمانية القديمة لم تكن دولة قومية ، ولكن عن طريق ثورة الشباب التركي القومي اولا في عام ١٩٠٨م استيقظت العروبة في هذه الاقطار وذلك حين اصبح الشباب التركي متعصبا قوميا اذ نتج عن ذلك تأزم (في الوضع في البلاد العربية) ثم ان الحرب العالمية الاولى ادت الى تأجيل المسألة العربية . اما في غرب شبه الجزيرة العربية وكذلك في منطقة شرق الاردن فقد قوى الجيش العربي بصورة اساسية عن طريق البدو حيث تمكن العرب من تكوين اول حكومة عربية في دمشق عام ١٩١٨[٢٩].

وسأنهي بحثي هنا بخلاصة عن دور البدو الان في البلدان العربية، ففي شبه الجزيرة العربية بعد الهزيمة السياسية التي حدثت في عام ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ عزم مؤسس الدولة الوهابية الثانية والتي منها ملوك العربية السعودية الان على جعل النظام الاجتماعي القائم فيها هو على غرار النظام العربي القديم. اذا أسسوا في بداية الأمر مناطق عسكرية كثيرة اندمج فيها المزارعون والفلاحون وكذلك الرعاة مكونين مجتمعا جديدا من طائفة الاخوان. وبصورة تدريجية غير انها مستمرة رضي افراد القبائل بان يؤسسوا مناطق عسكرية لان قسما منهم كان فرحا بما يصل اليهم من اسلحة جديدة. اما القسم الاخر فقد تحرك عن طريق الدعاية لهذا الاصلاح الديني والتعصب له وقد ساعد الاخوان الملك عبد العزيز ال سعود وبصورة عملية على السيطرة على شمال وغرب عملية شبة الجزيرة العربية غير ان هذا الاصلاح الديني كانت له بعض نقاط الضعف وهي : ان الاخوان شعروا بالزهو بسبب نجاحاتهم حتى لقد هدد زعماء الاخوان الملك عام ١٩٢٧ على القيام بحرب ضد العراق واخيرا ضد الانكليز. وعندما انتفض الملك لنفسه انتفضوا ضده. وقد كلفته الانتفاضة كثيرا من الجهد ولم يستطع اخمادها عام ١٩٢٩ الا بالاستفادة من العصبية القبلية. اما كيف تظهر العلاقات الان بعد ظهور البترول في شبه الجزيرة العربية وبعد ان تحولت الدولة من دولة فقيرة الى دولة غنية؟ فان هذا مالم استطع ان اكوّن عنه صورة واضحة.

لم يكن للبدو في مصر اي دور منذ مائة عام. اما في الجزائر فقد ثار البدو اخر مرة عام ١٨٧١ وهذه الثورة مرتبطة بالحرب الفرنسية ـ الالمانية. اما شرق الاردن او الاردن كما تسمى الان فهي ماتزال ارضا بدوية، لان الفلاحين وسكان المدن جنوب تبوك يتكلمون بلهجة بدوية ولهم العادات البدوية ايضا، والتنظيم القبلي مرتبط

٢٨ ـ ربما قصد المؤلف هنا ان بعضا من الاستقراطية العربية اخذت تتكلم باللغة التركية على اعتبار ان هذه اللغة اصبحت لغة البلاط لاننا ندرك بأن الشعب العربي قاوم سياسة التتريك.

٢٩ ـ يقصد هنا حكومة فيصل الاولى في دمشق ومن الافضل مراجعة اطروحة خيرية قاسمية الموسومة (الحكومة العربية في دمشق بين سنة ١٩١٨ ـ ١٩٢٠). دار المعارف بمصر ١٩٧١.

بالبدو. وعلى كل حال فانهم من اصول بدوية ومع ان قسما منهم يدين بالديانه المسيحية فهي تحمل عادات العرب قبل الاسلام نفسها.

اما في سوريا فقد اصبحت البداوة شبه منتهية منذ عام ١٩٢٥ لان البادية السورية الشمالية وقعت مرة ثانية تحت التأثير الحضاري كما في العصور القديمة. ولكن رغم ذلك فقد حافظ سكان تلك المناطق على العادات القبلية كما هي الحال على حدود الصحراء وفي منطقة حوران. وهذا ينطبق ايضا على القسم الشمالي لارض الجزيرة الفراتية التي يخضع القسم الاكبر منها سياسيا الى سوريا اما قبائل الصحراء السورية. فان قسما منها يعود الى العراق والقسم الاخر الى سوريا وهي ماتزال بدوية في حياتها وعاداتها.

ان العراق نفسه ليس لديه قبائل بدوية وانما لديه مشكلة العشائر التي تسكن ضفاف نهر الفرات ودجلة والجزيرة الواقعة بينهما وكذلك ضفاف نهر دجيل حيث اصبحوا مستقرين. وقد ثارت هذه العشائر عام ١٩٢٠ ضد الانكليز الذين قضوا عليها بصعوبة ومشقة. كما قاموا في عام ١٩٣٥ وعام ١٩٣٧ بثورة جديدة. وكان ذلك رد فعل ضد النظام الزراعي القديم.

انه لمن المثير حقا ان نتتبع اثار البداوة، فقد تركت بصماتها في اخلاق وصفات الشعب العربي، غير اننا نحتاج الى بحث اخر.

شكل رقم (١)

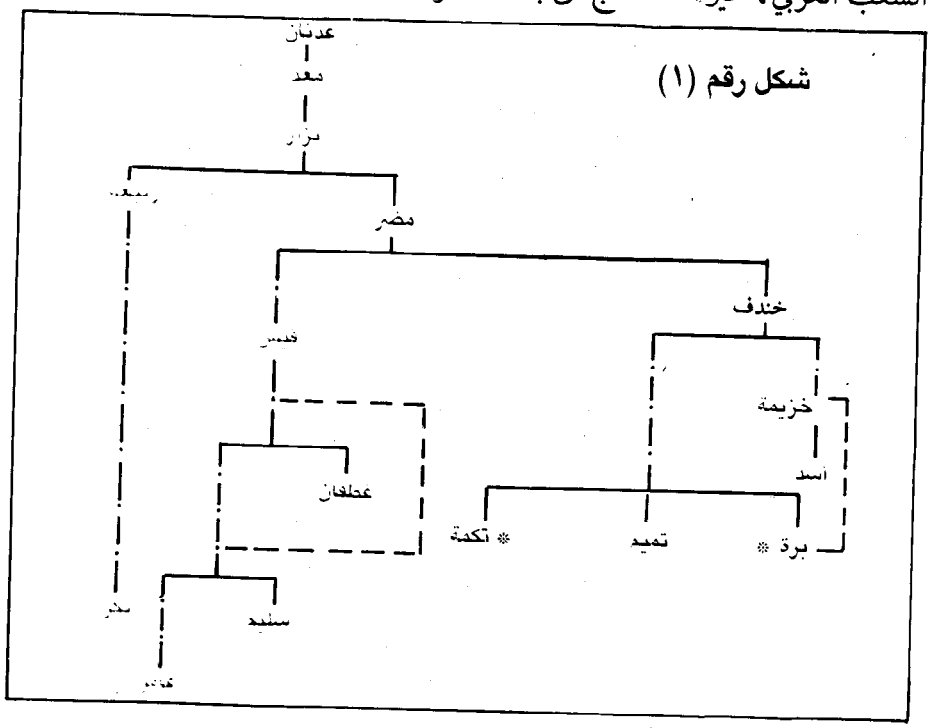

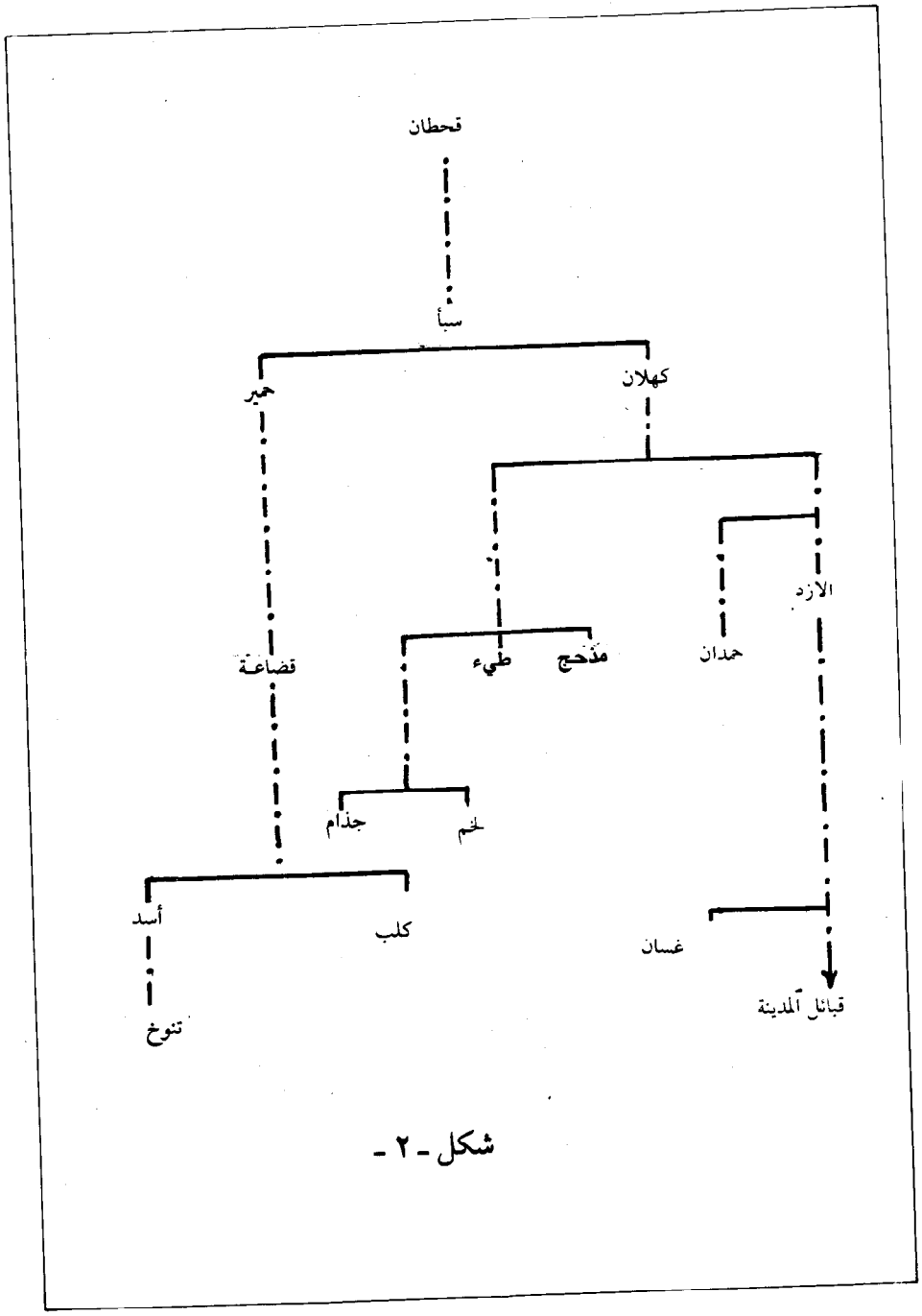
قحطان
سبأ
حمير
كهلان
الازد
حمدان
مذحج
طيء
قضاعة
لخم
جذام
أسد
كلب
تنوخ
غسان
قبائل المدينة

شكل - ٢ -

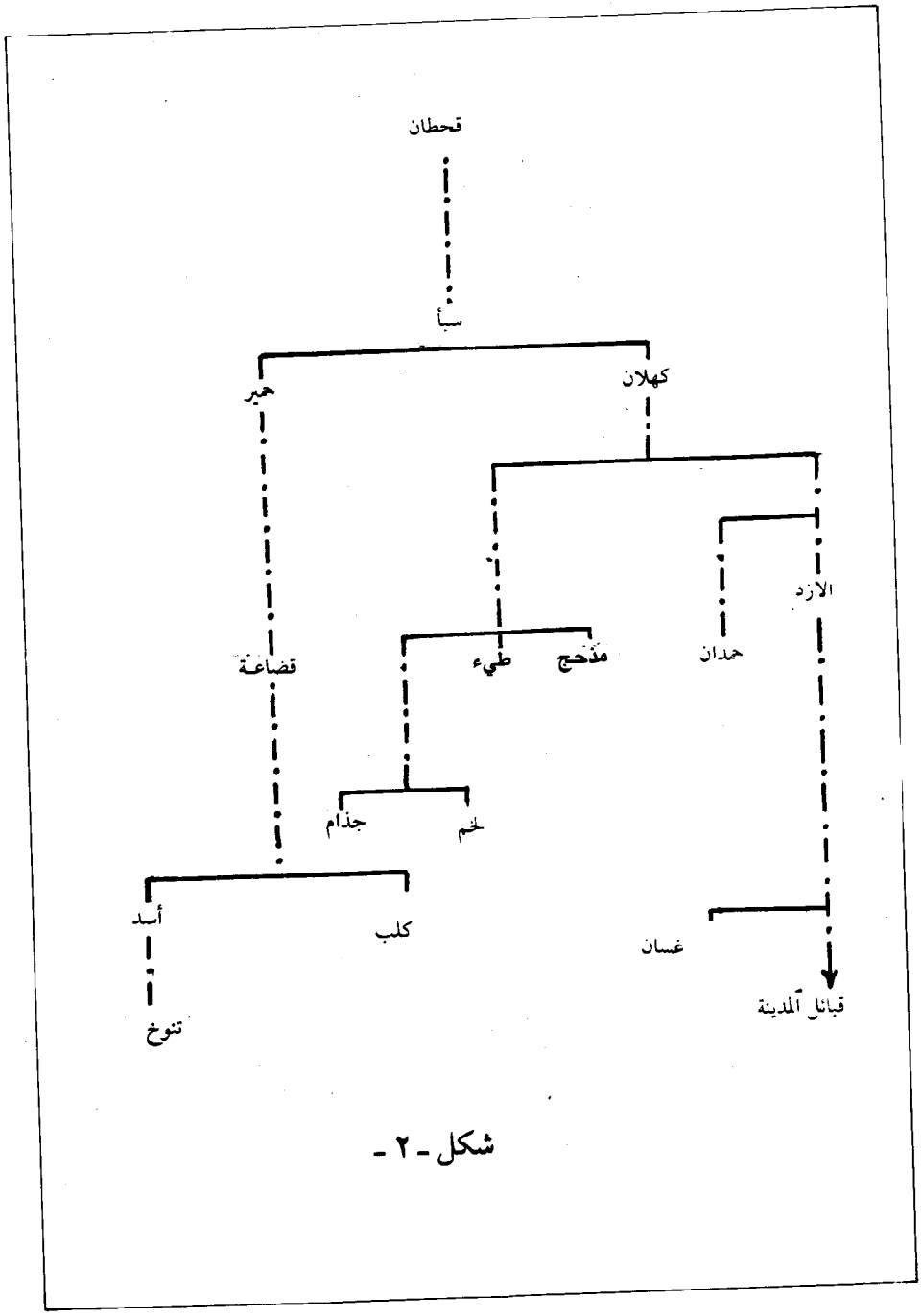
قحطان
سبأ
حمير
كهلان
الازد
حمدان
مذحج
طيء
قضاعة
لخم
جذام
أسد
كلب
تنوخ
غسان
قبائل المدينة

شكل - ٢ -

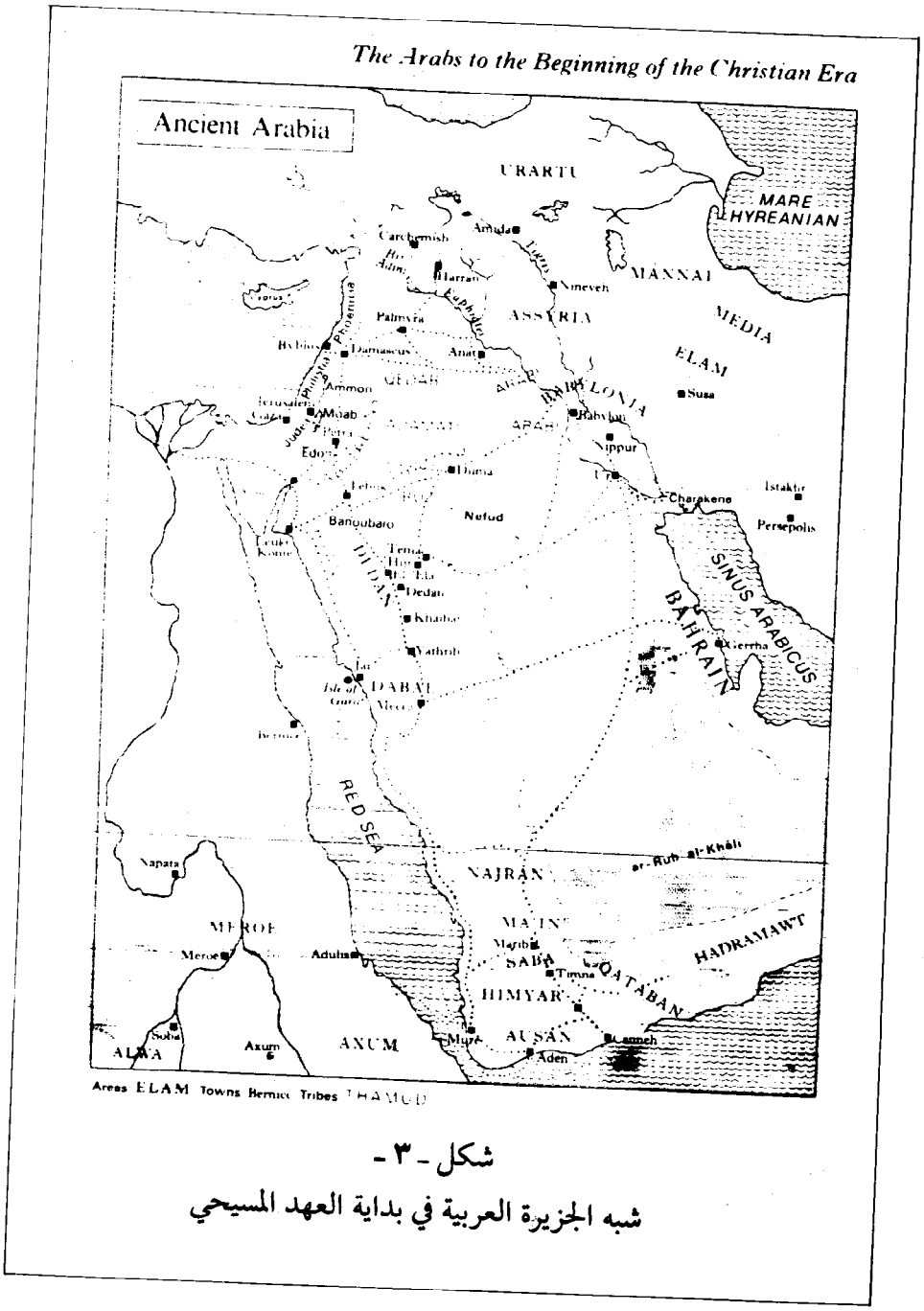

شكل - ٣ -

شبه الجزيرة العربية في بداية العهد المسيحي

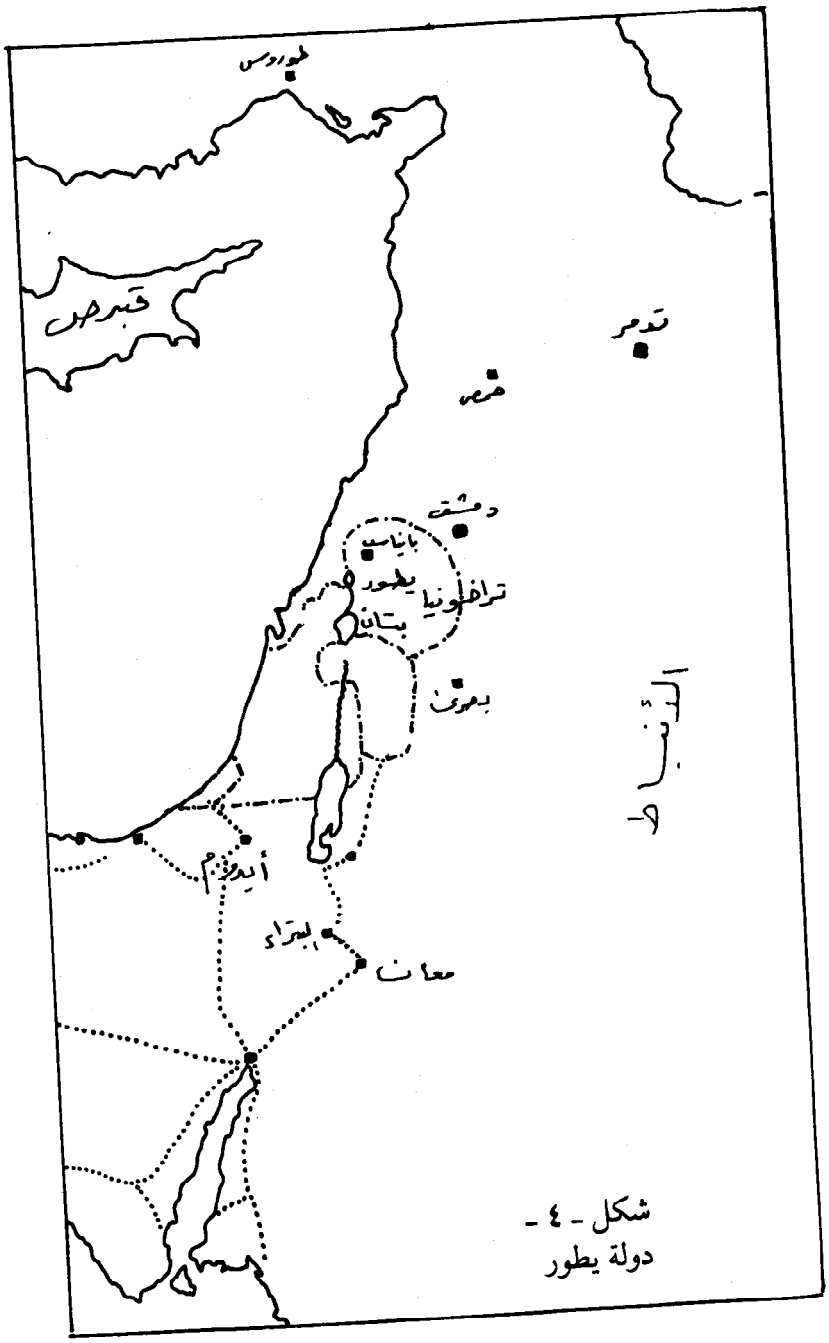

شكل - ٤ -
دولة يطور